

شرح الحديث الـ 50 في المواقيت

عن أبي عمرو الشيباني - واسمه سعد بن إياس - قال :
حدثني صاحب هذه الدار - وأشار إلى دار عبد الله -
قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب
إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أي ؟ قال
: ثم برّ الوالدين . قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في
سبيل الله . قال : حدثني بهن ، ولو استزدته لزدني .

في الحديث مسائل :

1 = أبو عمر الشيباني ، وهو - كما قال المصنف رحمه
الله - سعد بن إياس ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه
وسلم ولم يرّه ، ويُسمى - اصطلاحاً - مُخضرم .
أي أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلّقه فلا
ينال شرف الصُّحبة ، ولا يُعدّ من التابعين .

2 = من روايات الحديث :

في رواية عند البخاري قال عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا
رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال : الصلاة على
ميقاتها . قلت : ثم أي ؟ قال : ثم برّ الوالدين . قلت :
ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . فَسَكَتَ عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو استزدته لزدني .

وفي رواية لمسلم : قال : قلت : يا نبي الله أي الأعمال
أقرب إلى الجنة ؟ قال : الصلاة على مواقيتها . قلت :
وماذا يا نبي الله ؟ قال : برّ الوالدين . قلت : وماذا يا
نبي الله ؟ قال : الجهاد في سبيل الله .

وفي رواية له : قال : سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أي الأعمال أحب إلى الله .

وفي رواية للبخاري : عن أبي عمرو الشيباني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم . فذكره ، فأبهم السائل ، وهو نفسه رضي الله عنه .

وجاء في رواية لمسلم : عن سعد بن إياس أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن مسعود .
ففيها التصريح باسم أبي عمرو الشيباني .
وهي أقرب الروايات إلى ما أورده المصنف رحمه الله .

3 = أدب السؤال ، حيث لم يسأل ابن مسعود عن غير هذه الثلاث إبقاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورعاية لحق العالم وتأدب المتعلم .
ومثله لما سأل رضي الله عنه : أي الذنب أعظم ؟ فإنه لم يتجاوز الثلاثة أسئلة ، والحديث مخرّج في الصحيحين .

وتأمل في أدب السؤال عند سلف هذه الأمة فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى : (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) حتى حج وحججت معه ، وعدل وعدلت معه بإداوة ، فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ ، ثم سأله ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه المسألة .

ومن أدب السؤال المستفاد من فعل ابن مسعود رضي الله عنه :

السؤال عن الأهم .
السؤال عما يتعلق بأمور الآخرة وما يُقرب إلى الله عز وجل .

الاختصار في السؤال ، إذ سأل عن ثلاث مسائل .

قال ابن القيم رحمه الله في السؤال وعلاقته بالتعلم -
وقد ذكر مراتب العلم ، ومنها حسن السؤال - :

فمن الناس من يحرمه لعدم حسن سؤاله ، أما لأنه لا يسأل بحال أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه ، كمن يسأل عن فضوله التي لا يضر جهله بها ويدع مالا غنى له عن معرفته ، وهذه حال كثير من الجهال المتعلمين ، ومن الناس من يحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والممارات أثر عنده وأحب إليه من الإنصات ، وهذه آفة كامة في أكثر النفوس الطالبة للعلم ، وهي تمنعهم علما كثيرا ، ولو كان حسن الفهم .

ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال : من كان حسن الفهم رديء الاستماع لم يقم خيره بشره .
وذكر عبد الله بن أحمد في كتاب العلل له قال : كان عروة بن الزبير يحب ممارسة ابن عباس ، فكان يخزن علمه عنه ، وكان عبید الله بن عبد الله بن عتبة يلفظ له في السؤال فيعزه بالعلم عزا .

وقال ابن جريج : لم أستخرج العلم الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به .

وقال بعض السلف : إذا جالست العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول . اهـ .

4 = اقتصار النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الثلاث لا يعني الحصر .

أي أن هناك أعمالا فاضلة ولكنه اقتصر هنا على ذكر هذه الثلاث .

كما أن ذكر هذه الثلاث لا يعني أنها أفضل الأعمال مُطلقا .

5 = اختلاف الجواب بحسب السؤال تارة ، وبحسب حال السائل تارة أخرى .

فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم : أي

الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله . قيل : ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور .

فالترتيب هنا :

الإيمان بالله ثم الجهاد في سبيل الله ثم الحج المبرور ،
وليس فيه ذكر لبر الوالدين .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول
الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله والجهاد في
سبيله . قال : قلت : أي الرقاب أفضل ؟ قال : أنفسها
عند أهلها وأكثرها ثمنا . قال : قلت : فإن لم أفعل ؟
قال : تعين صانعا أو تصنع لأخرق . قال : قلت : يا
رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال :
تكفّ شرك عن الناس ، فإنها صدقة منك على نفسك .
رواه البخاري ومسلم .

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل
: يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : مؤمن يجاهد في سبيل الله
بنفسه وماله . قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب
من الشعب يتقي الله ، ويدع الناس من شره . رواه
البخاري ومسلم .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أي المسلمين خير ؟ قال : من سَلِمَ المسلمون من
لسانه ويده . رواه البخاري ومسلم .

و عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : يا
رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟
قال : لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور . رواه البخاري .

وهذا لا شك أنه بالنسبة للنساء .
فقد روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله
عنها قالت : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في
الجهاد ، فقال : جهادكن الحج .

والجهاد لا يعدله شيء ، كما دلّت على ذلك الأدلة
الصحيحة الصريحة ، كما سيأتي - إن شاء الله - .

ولكن تختلف الأجوبة بحسب حال السائل ، أو بحسب السؤال أو بحسب الحال التي يقع فيها السؤال .

ومثله وصاياه عليه الصلاة والسلام لأصحابه فإنها تختلف باختلال الأشخاص والأحوال

فقد روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له .

وجاءه رجل فقال : أوصني . قال : لا تغضب ، فردد مرارا . قال : لا تغضب . رواه البخاري .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنه في الجهاد ، فقال : أحيي والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد . رواه البخاري ومسلم .

ومثله الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة . قال : ويحك أحيي أمك ؟ قلت : نعم . قال : ارجع فبرها . قال : ثم أتيت من الجانب الآخر ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة . قال : ويحك أحيي أمك . قلت : نعم يا رسول الله قال فارجع إليها فبرها . قال : ثم أتيت من أمامه ، فقلت : يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة . قال : ويحك أحيي أمك ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : ويحك الزم رجلها فثم الجنة .

وسبب ذلك أن الرجل إما أنه لا يستطيع الجهاد ولا يصبر ولا يثبت

أو لحاجة والديه أو أحدهما إليه .
والأول أقوى لما قاله ابن ماجه بعد أن روى الحديث :
هذا جاهمة بن عباس بن مرداس السلمى الذي عاتب النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد رضي الله عنه قال : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء ،
وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله
وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض .
رواه الإمام أحمد وابن حبان .

6 = " أي " الواردة هنا في سؤال ابن مسعود رضي الله عنه قال ابن الملّغ : بغير تنوين .

7 = قوله : " الصلاة على وقتها " ، أو " على ميقاتها " ،
أو " على مواقيتها " كما جاءت بذلك الروايات يدلّ على
فضل الصلاة في أول الوقت لدخول " على " الدالة على
الاستعلاء .

ويُستثنى من ذلك ما يُستحب تأخيرها ، كصلاة العشاء إذا
لم يشق على الناس ، وصلاة الظهر في حال شدّة
الحر ، على ما سيأتي بيانه - إن شاء الله - .
وفي رواية للحاكم لحديث الباب : أي العمل أفضل ؟
قال : الصلاة في **أول** وقتها .
وقال ابن حبان : ذكر البيان بأن قوله صلى الله عليه
وسلم لوقتها أراد به : في **أول** وقتها .
ثم ساق الحديث بمثل رواية الحاكم .
وقال ابن خزيمة : باب اختيار الصلاة في أول وقتها بذكر
خبر لفظه لفظ عام مراده خاص .
ثم ساق الحديث بنفس اللفظ .

ورواه البيهقي والدارقطني أيضا بلفظ : الصلاة في **أول**
وقتها .

8 = فضل برّ الوالدين
فالوالد - أمّاً كان أو أباً - باب من أبواب الجنة .
فعن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي الدرداء أن رجلاً
أتاه فقال : إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها .
قال أبو الدرداء رضي الله عنه : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : الوالد أوسط

أبواب الجنة . فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه .
رواه الإمام أحمد وغيره ، وهو حديث صحيح .

وسبق أن كتبت موضوعا بعنوان : لماذا أدخل أصبعه في
جر العقرب ؟!

<http://saaid.net/Doat/assuhaim/195.htm>

وذكرت فيه أن أحد العلماء ، وهو كَهْمَس بن الحسن
الحنفي البصري ، وهو من رجال الصحيحين
قيل : إنه أراد قتل عقرب فدخلت في جحر ، فأدخل
أصابعه خلفها فضربته ، فقبل له . قال : خفت أن تخرج
فتجيء إلى أمي تلدغها !

ويكفي في فضل بر الوالدين أنه من الأعمال الصالحات
التي يُتَقَرَّب بها إلى رب الأرض والسموات ، وأنه تُفَرِّج
به الأزمات ، وينجو به العبد من الورطات ، كما في قصة
الثلاثة الذين أوامهم المبيت إلى غار ، والقصة في
الصحيحين .

وإن بر الوالدين مما يبلغ معه العبد المنزلة العالية عند
الله .

بل يبلغ منزلة عند الله بحيث لو أقسم على الله لأبرّ الله
قسمه .

كما في قصة أويس القرني ، حيث قال عنه النبي صلى
الله عليه وسلم :

يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد
ثم من قرن ، كان به برص فبَرَأ منه إلا موضعَ درهم له
والدةٌ هو بها بُرٌّ ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن
استطعت أن تستغفر لك فافعل . رواه مسلم .

وكان قال ذلك لعمر رضي الله عنه .

وفي رواية لمسلم : إن خير التابعين رجل يقال له أويس
، وله والدة ، وكان به بياض ، فَمُرَّوه فليستغفر لكم .

وإن برّ الأمهات يبلغ بصاحبه الدرجات العُلى

روى البخاري من حديث أنس بن مالك أن الرُّبَيْع بنت النضر - عمة أنس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة ؟ - وكان قتل يوم بدر أصابه سهم - فإن كان في الجنة صبرْتُ ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال : يا أم حارثة إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى .
هذا الرجل أوصله برُّه إلى الجنة .
فمن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا أدور في الجنة سمعت صوت قارئٍ فقلت من هذا ؟ فقالوا : حارثة بن النعمان . قال : كذلك البر . كذلكم البر . قال : وكان أبرَّ الناس بأُمَّه . رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . وهو كما قال .

فما هو البر ؟

سُئِلَ الحسن ما برَّ الوالدين ؟

قال : أن تبذل لهما ما ملكت ، وأن تطيعهما في ما أمراك به إلا أن تكون معصية . رواه عبد الرزاق في المصنف .

من أجل هذه الفضائل المجتمعة في بر الوالدين حرص السلف على البر بأبائهم
فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يبرُّ ابن صاحب أبيه بعد موت أبيه .

فمن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يترَّوِّح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة وعمامة يشدُّ بها رأسه ، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار إذ مرَّ به أعرابي ، فقال : ألسنت ابن فلان بن فلان قال : بلى فأعطاه الحمار وقال : اركب هذا ، والعمامة أشدُّ بها رأسك ، فقال له بعض أصحابه : غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت ترَّوِّح عليه ، وعمامة كنت تشدُّ بها رأسك ، فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي ، وإن أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنه . رواه مسلم .

9 - فضل الجهاد في سبيل الله

والجهاد لا يعدله شيء .

روي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد . قال : لا أجده . قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك ، فتقوم ولا تفتر ، وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات .

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال : لا تستطيعوه . قال : فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : لا تستطيعونه ، وقال في الثالثة : مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يرونه أفضل العمل . قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور . رواه البخاري . وقد تقدّمت الإشارة إليه .

ولما قال عليه الصلاة والسلام : ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه . قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : ولا الجهاد ، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله ، فلم يرجع بشيء . رواه البخاري .

وحسب الجهاد في الفضل أنه ذروة سنام هذا الدين ، كما قال عليه الصلاة والسلام . كما في المسند وغيره .

10 - أدب الصحابة رضي الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره والإبقاء عليه . ولذا فإنهم كانوا يتركون بعض السؤال من هذا الجانب

**وكانوا يفرحون إذا جاء الرجل من البادية فيسأل عما
أراد ، إذ يُعفى عن الرجل الغريب البادي ما لا يُعفى عن
أهل البلد . والله تعالى أعلى وأعلم .**